النشاط الادبي في البلاد العربية

بقلم الاستاذ عبد الحميد الرفيلي

قد يتكلف مؤرخ الأدب في البلاد العربية حينما يريد ان يسجل النتاج الأدبي تسجيلا شاملا ضمن اسبوع واحد وذلك لكثرة الأدباء والباحثين . لهذا يلزمه ان يسجل ماهو اكثر فائدة واسمى إبداعاً وأوفى تنسيقاً وأجلى عاطفة . وعلى هذا سنقصر كلامنا وعلى بعض هذا النتاج سنوجه بحثنا وهو والحق نتاج صالح متجدد متمش مع الحياة الحاضرة مهما احتاج الى صقل وتشذيب وبعض التوجيه العلمي .

ولقد شاهدت في سوق الوراقين عدة كتب ومجلات ضمن هذا الاسبوع ومنها رواية مسرحية جديدة اسماها مؤلفها الفاضل الحضرمي علي احمد باكثير « سر الحاكم بأمر الله » ولقد الف هذا الأديب النقادة كثيراً من الروايات والفصول التمثيلية ولكنني حسبما اعرف انها اتقن رواية وأبدع مسرحية جاء بها بل من احسن ما اخرجت لجنة الجامعيين للنشر في القاهرة من الروايات الجيدة التي لاتزال توالي اصدارها .

اوضح الأديب الحضرمي في هذه الرواية سر حياة الحاكم الغامض وقد شغلت حياة هذا الخليفة الفاطمي الاذهان والأسفار وملأت الكتب بالنقول المتناقضة والتفاسير المختلفة ولكن اديبنا عول على أوثق المصادر في حياته حتى قربها للحقيقة وأخضعها للمقاييس النفسية التي جاء بها علم النفس الحديث فاظهر باسلوبه اللبق جانباً غامضاً من تلك الحياة لم يستطع جملة من المؤلفين السابقين الكشف عنها .

فالحاكم في نظر هذا الروائي من الرجال الذين يعتقدون ويدينون بوحدة الوجود ثم بالحلول والأتحاد وهذه الحقيقة التي تحتل برايته هي منبع المذهب الأسماعيلي وعليه قامت فلسفتهم وتأويلاتهم وعقائدهم الغريبة .

اما الرواية في اسلوبها فسامية سهلة وكذلك في تنظيمها وفصولها وحسن اختيار شخوصها ولطف ادارة الحوار بينهم على نحو يلائم كل شخص منهم من دون ان يحس القارئ او المشاهد تكلفاً او اقتاماً او ثقلا على السمع او مجاً لكلمة نابيـــة .

وهذه مزية نادرة قلما تتفق في المسرحيات التي تؤلف في ايامنا . ومن المؤسف أن يأتي طبع هذه الرواية رديئاً والحروف غير واضحة الطبع ولا متقنة .

والكتاب الثاني الذي وردهو كتاب بودلير اقترحه الشاعر فقد اصدرت دار المكشوف البيروتية الكتاب الثاني من سلسلة « أشهر العشاق » وهو كتاب غرام تناول تحليل غرام هذا الشاعر المعروف شارل بودلير صاحب ديوان « ازهار الشر » الذي احدث في عصره إنقلاباً هائلا في الشعر وما زال بعض الادباء المعاصرين ولا سيما في لبنان بلد الجمال والأدب والغرام يجنحون الى تقليد هذا الشاعر العاشق الولهان الصارخ في غرامه الصادق في عاطفته وما زال جماعة من عشاق الادب المكشوف تقتدي به في التطرق الى دقائق الحب والهيام . وقد جلى قصة غرام هذا الشاعر وأجاد في تبسيطها وتعليلها في هذا الكتاب الشاعر الناثر اللبناني المعروف المرحوم الياس ابو شبكة باسلوبه الأخاذ ، وعرضه البديع ، وتصويره النثري الخلاب .

والى جانب هذا حمل الينا البريد ديوان الشاعر المصري علي الجندي المسمى بـ « أغاريد السحر » قامت بطبعه دار الفكر العربي التي زودت المكتبة العربية في هذا العام باكثر مما زودته دار نشر . طبع الديوان على ورق صقيل

---

(١) اذيع هذا الحديث في ٨ / ١٠ / ١٩٤٧ من محطة الشرق الادنى .

الطبقات الراقية ام بالنعيمه والبهتان بين فريق المتعلمين ، ام بالجشع والاحتكار بين زمرة التجار وارباب الثراء ، ام بالحسد والرياء بين فصيلة الروحيين ، لاادري هل هذه عوامل التقدم والاصلاح ام تلك سوسة تنخر في مجتمعنا وتقضي علينا حتى لايعود احدنا يشعر بتاتاً بعد هذا ، فالى الطبقة الواعية من رجال الحكم والى زعماء الدين - عاملي الترهيب والترغيب - اسوق كلمتي هذه .

علي الخاقاني

بحروف واضحة وحلي بصور رمزية ولكن الديوان بنسجه وتفكيره وتنويعه واغلب مواضيعه لايخرج عن ديوان شاعر من شعراء اواخر العهد العباسي ويكاد طابع هذا النسيج يطمس الصور الشعرية التي حاول الشاعر ان يرسمها في شعره على طريقة شعراء التجدد والتطور في النهضة الحديثة وليس بغريب ان يكون هذا الديوان على هذا النحو من التقليد والشبه بالقدماء والانزلاق بتفكيره الخاص فالرجل أزهري درعمي محافظ في أدبه وشعره وعقله مقتد باساتذته الذين حافظوا على اللغة العربية وخلصوها من كل شائبه أعجمية ، ولا تزال هذه الجماعة ملزمة نفسها هذه الخدمة الصادقة للغة الضاد وآدابها . وليس هذا وحده يبدو لك من الديوان وانت تتصفحه بل يريك صفاء النية وحسن العقيدة وتدفق الوطنية من هذا الشاعر الصادق ، وتلمس فوق ذلك حميته الدينية وحماسته القومية . وقد قسم ديوانه الى أربعة اقسام « ١ » من الاعماق : وهو وصف لحالة المسلمين وبعض رجالهم « ٢ » اصداء الحوادث : وفيه يذكر كثيراً من حوادث السياسة في البلاد العربية . « ٣ » أنفاس الاشجان في وصف الآلام والأحزان ، « ٤ » نفح الغواني » وفيه تبدو عاطفته القوية في الحب والغرام ، وكان الأحرى ان يقدم هذا النوع على بقية الأنواع ويحلي به صدر الديوان تمشياً مع الوضع الطبيعي في تنظيم حياة الانسان ، ولكن الديوان صدر بمقدمة عريضة طويلة بقلم صديق الشاعر الاستاذ محمد صالح سمك ، وقد وفى حقوق الصداقة فاطنب مدحاً وثناء وتحليلا لشخصية الشاعر واخلاقه ودراسته تحليل صديق حميم يريد الخير كله لصديقه فجاءت المقدمة على نسق جملة من مقدمات الكتب التي تكتب لترويج الكتاب واعلاء صاحبه . وفي افتتاح الديوان صورة بديعة للشاعر شفعها بقصيدة سماها « صورة نفسية » يظهر فيها شاعرنا مظاهر الزاهد الورع العازف عن الحياة العارف بمشقاتها والآمها مستهلا تلك القصيدة بهذه الابيات:

لكل امرئ جهر يخالف سرّه ... ومالي من سرّ يخالفه جهري
تطالع في وجهي صحيفة خاطري ... وتقرأ في عيني ما حاك في صدري
خلقت كعيسى لا اجن ضغينة ... بقلبي ولا اطوي الضلوع على غدر
ولا ناسياً صنع امرئ وجميله ... الي ونسيان الجميل من الكفر
ولم ار في عسر مقراً لذلة ... ولا ساحباً ذيل المخيلة في يسر
ولا ضارعاً الا الى الله خالقي ... وان قلبتني الحادثات على جمر
ولم ابتذل وجهي لشيء انله ... ولو انه عمر يضاف لى عمرى

الى آخر القصيدة التي يريك نموذج الركة والضعف وضحالة المعاني في هذا الديوان .

ومما ورد في هذا الاسبوع ذيل الروضتين للحافظ المؤرخ ابي شامة المقدسي مؤرخ الدولتين النورية والصلاحية والمتوفى عام « ٦٦٥ » هجرية والكتاب نادرة تاريخية مهمة في بابها فقد سجل المؤلف في هذا الذيل ماغاته من تأريخ السنين التي اعقبت تأليف الروضتين وذلك منذ سنة « ٥٩٠ — ٦٦٥ » وهي السنة التي توفي في آخرها المؤلف .

وهذه الفترة التي سجل تأريخها من الفترات التي قل تدوين حوادثها والمؤرخ المتتبع يجد الفراغ ملموساً فيها لأنها دور تحول في الدول واضطراب في الاوضاع . وتعدد حاكمين في هذه القطعة « العراقية والشامية والمصرية » مما جعل العلماء ينصرفون لأمورهم الخاصة وللمحافظة على انفسهم ، والمؤلف نفسه يرينا الشواهد تلو الشواهد على هذا الاضطراب كقوله في ضمن حوادث سنة « ٦٥٨ » وفي اول السنة حكم دمشق الناصر يوسف بن محمد الأيوبي ثم صارت بعد اشهر الى ملك التتار ثم رجعت الى المظفر قطز . ولم تنته السنة حتى تسلمها الظاهر بيبرس . وفي الكتاب نقل كثير عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي ولا سيما من قسمه المفقود غير المطبوع كما فيه عرض مبهم وتسجيل نافع لام حوادث التتار في الشام وحواليها وتراجم كثير من رجال القرن السادس والسابع من شعراء وعلماء وامراء تلك الفترة ممن تقل تراجمهم بالكتب بهذا التفصيل . وهناك ميزة اخرى هي ترجمة المؤلف نفسه واصدقائه واقاربه وكل من يخصه من بنين وبنات .

قام بطبع هذه الدرة الثمينة السيد عزت العطار الحسيني مؤسس مكتب نشر الثقافة الأسلامية فاسدى خدمة تذكر في نشرها ولكن الذي يؤسف له وقوع اغلاط كثيرة في هذا الذيل وقعت من الطابع سواء في ضبط الارقام للوفيات والسنين او في ضبط الأعلام والكلمات ومما يوجب الغرابة ايضاً تغيير اسم الذيل وتسميه « تراجم رجال القرنين » مع انه يحوي تأريخ كثير من حوادث السنين التي لاعلاقة لها بالوفيات من

افواح والآم وحروب ومراسلات بين الامراء وما الى ذلك مضافاً الى ذكر كثير من النساء الفواضل وقد ذكره ايضا المؤلف نفسه في اثناء ترجمته باسم الذيل .

وقد زخرت المجلات الأدبية بالبحوث الأدبية والمقاطيع الشعرية ومما جاء في مجلة (البيان) في عددها الاولين لسنتها الثانية وقد صدرا معاً قصيدة عصماء حافلة بصور من الشعر القوية للشاعر النجفي السيد محمود حبوبي يخاطب بها ربة البيت في العراق ضمنها جملة من آرائه في تهذيب الفتاة العراقية وموازنا بينها وبين الفتاة في الممالك الراقية وقد استهلها بهذه الابيات الجزلة على رغم ان موضوع الفتاة وتعلمها طرقه كثير قبله من شعراء العصر :

سلي لداتك حول النيل او بردى ... هل زدن بالعلم الاعفة وهدى
قسى عليهن عصر قد مضى فمضت ... جهالة واحلت بعدها رشدا
فعدن ينجبن جيلا غير ذي وهن ... ان هن انجبن ما بين الورى ولدا
وان خلعن رداءً قد حجبن به ... فالعلم اضفى عليهن العفاف ردا
ادركن بالعلم ما حاولن من ادب ... كانت كما للدارى قد مددن يدا
فيا فتاة العراق استقبلي زمناً ... قد جد من فيه للغايات واجتهدا
وللمعارف والآداب فابتدري ... ولا تخافي لنيل العلم منتقدا
لم يغن آنسة حلي تزان به ... ان فاتها العلم في نادا احتشدا
كالآل لم يغن عن ماء تتوق له ... فما يبل ظما في نفسها وصدى

وجاء في عدد الغري الأخير قصيدة بديعة الغرض جيدة التسلسل آخذة صورها بعضها برقاب بعض حتى كانها هيكل متماسك تلك موشحة الشاعر الفاضل عبد الرحمن رضا في وصف فقير متشرد يسائل الناس عاش على فضلاتهم بيؤس وشقاء وقد استهلها بهذه الأبيات الغراء البليغة مخاطباً بها ذلك السائل :

تطوف على الأرض حتى الممات ... طريد الأنام طريد القدر
تسوق ركائبك الحادثات ... وتحدو بها في المواسي الغرر
ورحت تقاذفك المهلكات ... وتعبث فيك صروف الغير
حنانيك قل لي باي الجهات ... سيخضل روض المنى المزدهر
وتفتر عن ثغرها الأمنيات ... وتحلو الحياة ويزهو العمر
ويبدك ما العمر الا لهيب ... يفور ودنياك دنيا سقر
ويومك يمضي سريع الخطى ... كما تسرع النجمة الآفلة
كذلك عمرك نفح الشذى ... تضوع من زهرة ذابله

ومما جاء في الجزء الثالث لمجلة المعلم الجديد الذي وصل في هذا الأسبوع بمناسبة فتح المدارس طافحاً بالأبحاث المتنوعة ومما نشر فيه مقالة جيدة للدكتور مصطفى جواد يناقش فيها التقارير الاولى للجنة الثقافة التحضيرية في امانة الجامعة العربية ونقاش الدكتور جاء حاويا للاحظات سديدة وان لم نتفق معه في بعضها فرأي الدكتور في الاهتمام الزائد بالأعراب مخالفاً رأي اللجنة لا يتمل على علاته مادام في يد النحويين قواعد تحولهم الوقف على الكلمات وقد استعمل ذلك العرب في الكتابة وفي القراءة وفي بعض قصائد الشعر حتى جوزوا ان تكون القافية ساكنة على نسق واحد وان كان اعرابها مخالفاً فما يمنعنا نحن ان نسوغ ذلك للقارئين وللخطباء كيلا يتكلف احد في اجهاد نفسه بالزامها بالحركات ومما خالف الدكتور رأي اللجنة ايضاً فقد ارتأت ان تكرار المواضيع للقواعد في بعض الصفوف يعتبر غير مفيد ولا موجب له ولا ندري لماذا يرى الدكتور لزوم التكرار وهو مهما كان لا يجدي اذا اهمل التطبيق اذن فالتطبيق في الحفوفات والقراءة والانشاء خير من تكرار القواعد حينما يخلص المدرس في دروسه بكثرة تطبيقاته . وجاء ايضاً في هذا العدد بحث عن الاستشراق في اللغة العربية وهو بحث مفروغ عنه حسبما اعلم وقد اخذ الكثير منه من الاستاذ نجيب العقيقي في كتابه (المستشرقون) ومن كتاب لادباء العرب لبطرس البستاني ومن كتاب جرجي زيدان في تأريخ ادباء اللغة العربية وماعدا ذلك فليس فيه ابتكار اوجدة او نحوها .

وتوالى الآنسة عاتكة وهي نشر فصول روايتها الشعرية (مجنون ليلى) وهي جميلة وجيدة لولا مافيها من المبالغات والتعابير الركيكة التي لا يسوغها الأدب الحي اليوم اوقل الادب الناضج فليس بمستساغ اليوم ان يقول الناظم ماقالته هذه الناظمة في احد مواقفها على لسان المجنون .

هواها في ليس نعي ودمعها ... سيجري كأنهار بجب خريرها

ولا ادري أيمكن ان تجرى دموع الانسان جري الانهار هذه مبالغة يأباها الذوق السليم وكقوله :

ولا تحسبي اني لليلاي هاجر ... فمثل هوى ليلى يخلد للحشر

وهل يمكن ان تخلد الحب عند المحب للحشر ولو ابدلت للموت لكان اقل مبالغة .

البقية على صحيفة ٨٠١